

خطبة الأسبوع

متى الراحة؟




قناة الخطب الوجيزة
<https://t.me/alkhutab>

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ
وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ

التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنْ

الإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى،

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ

التَّقْوَى﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّهَا مَطْلَبُ الْبَشَرِيَّةِ،

وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهَا الْإِنْسَانِيَّةَ،

وَاتَّفَقَتْ عَلَى طَلِبِهَا الْأُمَّمُ

كُلُّهَا: **إِنَّهَا الرَّاحَةُ!**¹

وَلَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ طَعْمَ الرَّاحَةِ

وَالْأَمَانَ، إِلَّا حِينَ يَعُودُ إِلَى

الرَّحْمَنِ؛ فَهُوَ أَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ،

¹ انظر: مداواة النفوس، ابن حزم (14).

وَأَدْرَى بِرَاحَتِهِ! قَالَ تَعَالَى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

وَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا: أَقْبَلَتْ

عَلَيْهِ وُفُودُ الرَّاحَةِ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ! قَالَ بِجَلَالِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴿٥١٦﴾

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ:

تَشْمَلُ وَجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ

جِهَةٍ كَانَتْ) ².

وَمَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الْعِبَادَةِ: وَجَدَ

فِيهَا مِنْ (اللَّذَّةِ وَالرَّاحَةِ)

² تفسير ابن كثير (4 / 516).

أَضْعَافَ مَا يَجِدُهُ فِي اللّهُوِ

وَاللَّعِبِ وَالشَّهَوَاتِ!³

وَمَا اسْتُجْلِبَتِ الرَّاحَةُ بِمِثْلِ

الصَّلَاةِ⁴؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا بَلَاءُ،

أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحْنَا بِهَا)⁵.

³ انظر: مدراج السالكين، ابن القيم (3/ 352).

⁴ انظر: زاد المعاد، ابن القيم (4/ 305).

⁵ رواه أبو داود (4985)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (7892).

قِيلَ لِبَعْضِ الْعِبَادِ: (إِلَى كَمْ

تُتْعَبُ نَفْسُكَ؟!)، فَقَالَ:

(رَاحَتَهَا أُرِيدُ!)^٦.

وَالَّذِي يَتَعَجَّلُ الرَّاحَةَ بِتَرْكِ

الْوَاجِبَاتِ، وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ؛

فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، وَتَعَجَّلَ

الشَّقَاءَ وَالضُّيْقَ، وَقَدَّمَ رَاحَةَ

^٦ الفوائد، ابن القيم (43).

رَخِيصَةً قَصِيرَةً، عَلَى رَاحَةٍ

أَبْدِيَّةٍ كَامِلَةٍ! ⁷ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا

التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: (سُمُّوا

جُهَالًا؛ لِإِثَارِهِمُ الْقَلِيلَ، عَلَى

الرَّاحَةِ الْكَثِيرَةِ، وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ

⁷ انظر: تفسير السعدي (346).

إِلَّا تَعَبًا وَغَمًّا؛ وَإِنْ كَانَتْ تُفِيدُهُ

مِقْدَارًا مِنَ السُّرُورِ: فَمَا يَعْقِبُهُ

مِنَ الْمَضَارِّ، وَيَفُوتُهُ مِنَ الْمَسَارِّ؛

أَضْعَافُ ذَلِكَ!)^٨. قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ

لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

^٨ مجموع الفتاوى (22 / 7) (229-230 / 32). بتصرف

وَمِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ: الرِّضَا

وَالقَنَاةُ؛ فَمَنْ رَضِيَ بِقِسْمَةِ

اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَاقْتَنَعَ بِعَطَائِهِ:

اسْتَرَّاحَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْتَمُّ بِهِ

النَّاسُ، مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا

وَعَلَائِقِهَا! قَالَ ابْنُ حِبَّانَ:

(لَيْسَ شَيْءٌ أَرْوَحَ لِلْبَدَنِ: مِنْ

° انظر: روضة العقلاء، ابن حبان (62).

الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَالثَّقَّةِ
بِالْقَسَمِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَنَاعَةِ
إِلَّا الرَّاحَةُ؛ لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى
الْعَاقِلِ أَلَّا يُفَارِقَ الْقَنَاعَةَ¹⁰.

¹⁰ المصدر السابق (150). باختصار

وَمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنْ الْغِلِّ

وَالْحَسَدِ؛ فَقَدْ تَعَجَّلَ الرَّاحَةَ

لِنَفْسِهِ، وَتَفَرَّغَ لِمَصَالِحِهِ¹¹.

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ

أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ!

وَمَنْ تَعَوَّدَ الْكَسَلَ، وَمَالَ إِلَى

الرَّاحَةِ: فَقَدَ الرَّاحَةَ! وَقَدْ قِيلَ:

¹¹ انظر: مداواة النفوس، ابن حزم (20، 31).

(إِنْ أَرَدْتَ إِلَّا تَتَّعِبَ: فَاتَّعَبْ؛

لِيَلَّا تَتَّعِبَ! ¹² وَلَا رَاحَةَ لِمَنْ لَا

تَعَبَ لَهُ) ¹³.

وَالسِّيَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالسَّعَادَةُ

فِي الْآخِرَى: لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا

عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ ¹⁴.

¹² الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني (269).

¹³ إعلام الموقعين، ابن القيم (2/86).

¹⁴ انظر: تحفة المودود، ابن القيم (241).

قال بَعْضُ السَّلَفِ: (لَا

يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةٍ

الْجِسْمِ) ¹⁵.

وَكَلَّمَا كَانَتِ النَّفُوسُ أَشْرَفَ،

وَالْهِمَّةُ أَعْلَى: كَانَ تَعَبُ الْبَدَنِ

أَوْفَرَ، وَحَظُّهُ مِنَ الرَّاحَةِ أَقْلَ!

¹⁵ صحيح مسلم (612).

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا

تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ
كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ،
وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ

وَأَمْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: (رُوحُ الْمُؤْمِنِ)

تَتَنَفَّسُ الرَّاحَةَ مِنْ سَاعَةٍ

الْمَوْتِ¹⁶؛ لِخَلَاصِهَا مِنْ سِجْنِ

الدُّنْيَا وَشَقَائِهَا، إِلَى سَعَةِ

¹⁶ انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (50).

الْآخِرَةَ وَفَضَائِلَهَا! ¹⁷ قَالَ وَعَجَلًا:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ،

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾.

قال ابن كثير: (مَنْ مَاتَ مُقَرَّبًا:

حَصَلَ لَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّاحَةِ

وَالِإِسْتِرَاحَةِ!) ¹⁸ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

¹⁷ انظر: تفسير ابن كثير (1/222) (3/257).

¹⁸ تفسير ابن كثير (8/35). بتصرف

(العَبْدُ الْمُؤْمِنُ: يَسْتَرِيحُ مِنْ
نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ

اللَّهِ)¹⁹.

¹⁹ رواه البخاري (6512)، ومسلم (950).

وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا رَاحَةٌ مُطْلَقَةٌ؛

فَقَدْ طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ،²⁰ وَالتَّعَبِ

فِيهَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْبَشَرُ!

قال وَعَجَلٌ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾

فِي كَبَدٍ.

²⁰ وَرَاحَةُ الدُّنْيَا وَلذَاتُهَا: هِيَ دَفْعٌ لِأَلَامِهَا وَأَفَاتِمَا: أَفَلَا تَرَكَ تَدْفَعُ بِالْأَكْلِ: أَلَمَ الْجُوعِ، وَبِالشُّرْبِ: أَلَمَ الْعَطَشِ، وَبِالنَّوْمِ: أَلَمَ التَّعَبِ، وَكَذَا سَائِرُ اللَّذَاتِ؛ فَأَمَّا (الرَّاحَةُ وَاللَّذَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الْخَالِصَةُ): فَفِي الْجَنَّةِ فَقَطْ!

انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (1/ 275).

والخاسر المغبون : هُوَ مَنْ يُعَانِي

كَبَدَ الدُّنْيَا؛ لِيَنْتَهِيَ إِلَى كَبَدِ

الْآخِرَةِ! وَالسَّعِيدُ: مَنْ يَكْدَحُ

إِلَى رَبِّهِ؛ لِيَنْتَهِيَ إِلَى الرَّاحَةِ

الْكُبْرَى! قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: (وَأَمَّا

الرَّاحَةُ وَالْبَهْجَةُ فِي جِوَارِ رَبِّ

الأزبابِ؛ فَمِمَّا لَا يَخْطُرُ عَلَى

قَلْبِ بَشَرٍ! ²¹.

وَاسْتَقَرَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ: أَنْ حَلَاوَةَ

الرَّاحَةِ وَالْأَجْرِ، لَا تَكُونُ إِلَّا

بَعْدَ مَرَارَةِ الْمَشَقَّةِ وَالصَّبْرِ!

²¹ أحكام أهل الذمة (1/240). باختصار

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ

بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ

بِالشَّهَوَاتِ) ²².

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ ثَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ

لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرًا

²² رواه مسلم. قال ابنُ القَيِّمِ: (وَإِنَّمَا تَخْلُصُ الرَّاحَةَ وَاللَّذَّةَ وَالنَّعِيمَ فِي دَارِ السَّلَامِ، فَأَمَّا فِي

هَذِهِ الدَّارِ: فَكَلًّا وَلَمَّا). مفتاح دار السعادة (2/ 16).

والرَّاحَةُ الْخَالِصَةُ: لَا تَكُونُ إِلَّا

فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ!

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الإِمَامِ أَحْمَدَ؛

فَقَالَ: (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَصَدْتُكَ

مِنْ خُرَاسَانَ، أَسْأَلُكَ عَنِ

مَسْأَلَةٍ)، فَقَالَ لَهُ: (سَلْ)، قَالَ:

(مَتَى يَجِدُ الْعَبْدُ طَعْمَ

الرَّاحَةَ؟، فقال: (عِنْدَ أَوَّلِ

قَدَمٍ يَضَعُهَا فِي الْجَنَّةِ!) ²³.

وَأَهْلُ الْجَنَّةِ: قَدْ جَمَعُوا الرَّاحَةَ

بِحَدَافِيرِهَا؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اتَّعَبُوا

أَنْفُسَهُمْ قَلِيلًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فِي

²³ طبقات الحنابلة، أبو يعلى (1/ 293). قال السَّعْدِيُّ: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ أَعْلَى الْمَطْلَبِ، وَكُلَّمَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ: عَظُمَتْ وَسِيلَتُهُ؛ فَلَا يُوصَلُ إِلَى الرَّاحَةِ إِلَّا بِتَرْكِ الرَّاحَةِ، وَلَكِنَّ مَكَارِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَصِيبُ الْعَبْدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -عِنْدَ تَوْطِينِ النَّفْسِ وَتَمَرِينِهَا-؛ تَنْقَلِبُ عِنْدَ أَرْبَابِ الْبَصَائِرِ: مِنْهَا يُسْرُونَ بِهَا، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ).

الدُّنْيَا؛ اسْتَرَا حُوا رَا حَةً دَائِمَةً
فِي الْآخِرَةِ! ²⁴ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا
لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا
دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ * قال السعدي: (أَيُّ

²⁴ انظر: تفسير ابن كثير (6/489).

لَا تَعَبَ فِي الْأَبْدَانِ وَلَا فِي
الْقُلُوبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ
يُبَيِّنُ لَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ
عَلَى الدَّوَامِ، مَا يَكُونُونَ بِهِدِهِ
الصِّفَةَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ
لَا يَنَامُونَ؛ لِأَنَّ فَايِدَةَ النَّوْمِ:
هِيَ زَوَالُ التَّعَبِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ

بِخِلَافِ ذَلِكَ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ

بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ) ²⁵. أ. هـ

وَإِنَّ أَيَّامَكُمْ هَذِهِ: أَيَّامٌ خَالِيَةٌ

فَانِيَةٌ، تُؤَدِّي إِلَى أَيَّامٍ بَاقِيَةٍ

خَالِدَةٍ، فَاعْمَلُوا فِي هَذِهِ

الْأَيَّامِ ²⁶؛ لِتَرْتَاحُوا بَعْدَهَا فِي دَارِ

²⁵ تفسير السعدي (689). بتصرف

²⁶ تفسير الطبري (234 / 23).

السَّلَام! وَتَسْتَمِعُوا لِرَبِّكُمْ،

وَهُوَ يَقُولُ لَكُمْ: ﴿كُلُوا

وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي

الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.



* اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ

الشُّرَكَ وَالْمُشْرِكِينَ.

* **اللَّهُمَّ** ارْضُ عَنْ خُلَفَائِكَ الرَّاشِدِينَ،

الْأئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ،

وَعَثْمَانَ، وَعَلِيًّا؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ

والتابعين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ.

* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ، وَنَفْسَ

كَرْبِ الْمَكْرُوبِينَ.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا

وَوُلاةَ أُمُورِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ

عَهْدِهِ) لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتَيْهِمَا
لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

* عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾.

* فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُواهُ عَلَى

نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَصْنَعُونَ﴾.



